ذكرى جواد

« مهداة الى البطل جواد علي حسني
احد شهداء معركة بور سعيد »

دخلت يوما والظلام جاثم على البطاحْ
والبحر مكفهر الوجه قاتم النواحْ
دخلتُ قبوا في رحاب الشطِ ، مظلم القرارْ

في قاع وهدة قصيةٍ
موحشة الجوارْ
وفي ظلام القبو شاهدت عيناي
على الجدار احرفاً من الوهَجْ
الدم فيها والحياة تختلج
شممت ريحها كأنه البخور
في قُدس معبد يغص بالنذور
خلعت نعلي .. وانحنيت في خشوع
وكدتُ ألثمُ الجوارَ ...
أغسل الحروف بالدموعْ
لكنني أبيت ان يمس قُدسها بشرْ
او ان يذيب الدمع من جلالها اثر
ركعت والعينان في غلائل الدموعْ
ومن خلال الدمع لاح لي فتىً وديع
في وجهه غضارة الصِّبا
في عينه الألقْ
في خطوه الفتيِّ دفعة الحياة تنطلق
في ثغره لحن كبهجة الصباحْ
يرسله للحب للأشواق للأفراح

وفجأةً تقلّص النغمْ
النور في الآفاق غاص وانبهم
البوم صاحَ ...
موكب الخراب قد ألمّ
عصابة الغربان في سوادها الأصم
تدافعت على الشطوط الآمنات كالبَهَمْ
تريد ان تمزق الحياة والصباحْ
وتخنق الانغام والأحلام والافراح

وفجأة تقلص النغمْ
وفارت الدماء في العروق تنتفضْ
« بل دون خطوكم لباب جنتي بحارْ
املؤها بالدم بالدموع بالنَّصَبْ
حبيبتي حبيبتي خباؤها حَرَمْ
لا ان تمسّ قدس أرضها قدم
حبيبتي حبيبتي عن وجهك الجميل
عن تبعك الصفيّ عن مهادك الظليل
اقدم الحياة والشباب والأملْ
ففي قرار القلب يا حبيبتي
نار الكفاح والصراع تشتعل

وفجأة تقلص النغمْ
وسافر البطل
لأرض سينا في بطاحها الفساح
يصد ارجال الجرادِ ... يذروها لمغرب الرياح

الرمل كالبحار موجه عتيّ
يثقّل العدمَ
ويشعل الألمْ
والهول حوله قذائف الحممْ
والنار كالطوفان سيلها عرم
والليل مخضوب الشفاه بالردى والدم
لكنّ في قلب الفتى جناحْ
يحلو بجسمه ...
فوق الثرى . . مع الرياحْ
ويستخف بالهلال والعدم .

وفجأةً تقلص النغمْ
رصاصة في صدره تضرجتْ بدم
الكفُّ فوق جرحه ...
والكف في السلاح لم تنمْ
لا لم يَهُنْ
يريد ان يواصل الجلادو الصراعْ
حتى يمر في قلب الدجى الشعاعْ

الجرح ينزو ...
تشرب الرمالْ
رحيقه الورديَّ كالعذب الزلال
والضعف يسري في الجواد الجامحِ
وجسمه الربان يذوي ...
كالشهاب النازحِ
« جوادْ بل ستستريح يا جوادْ
لموعدٍ بعد الشفاء مقبلِ »

وعنوة أقلّه الرفاقْ
ليمنحوه مرفأ يظل راحته
لكنه علمْ
والجرح في فؤاده مخضّبٌ بدم
ان البغاة في طريقهم الى الحمى
ان البغاة جمعهم لم ينفصم

حشد جديد لمّ جمعه ، حشد جديدْ
حشد من الغيلان جهزوا الدمار والقيود
لأرضنا الحسناء ارض بور سعيد
« حبيبتي السمراء لن يأسرها العبيد
ودون ذلها فيالق فيالق تبيد »

«لا يا رفاقْ ، ما بجسمي حاجة الى طبيب
طبي هنا في ان اذود العار عن بيتي الحبيب
لا يا رفاقْ لن أموت جيفة بلا ثمْ
الحشد آلاف ولكني ساعلم الزمنْ
وأعلم الطغاة والبغاة والمحن
ان الحياة أغلى ما تُظلّلهُ الحياه
وأن من يعدو عليها يدفع الثمن »

هاتوا العتاد يارفاق إنني اموتْ
وقبل ان اضل يا رفاقْ في غور السكوت
بربكم اريد ان أتم قصتي ...
حكايتي تؤودني في قلبيَ الصموتْ »

وحاول الرفاق عنوة ان يحملوه
لكنه تحدى بالسلاح بالقسَمْ
فأسلموا عتادهم لكنه الجريء
وأسرعوا ليبعثوا بنجدةٍ تُلمّ

وخلف ربوة صغيرة من الرمالْ
تحصّن البطلْ
المدفع الصغير في يديه قال
« يا لهفتي إليك يا رفيقْ

يا اجمل الاحباب يا اغلى صديق »
وضمّه لصدره الجريحْ
كأنه طفلٌ . .
في المهد يستريح
ولاح في البعد العصيّ جحفلٌ
من البغاة يرصد الطريقْ
تقدمت جموعهم على المدى
مرصوصةً مرصوصةً
كأنها الجدار في بنيانها الوثيقْ
والشبل خلف ربوة الرمال قابعٌ
توتّرتْ يداه فوق مضرب الزنادْ
« لا لن تموت جيفة بلا ثمن
لا لن تمس قدس ارضنا قدم »
وانطلق الزنادْ . . .
يحصد الجراد
عشرون بل خمسون بل مائة
والنار في الفؤاد لم تزل تفورْ
عشرون بل خمسون بل مائة
والنار في الفضاء تحصد الطيور
البوم والغربان عشاق الخرابْ
تساقطوا تساقطوا كحفنة الذباب
وأوهن البطلْ
لم يبق في عتاده ثم رصاص ينطلقْ
فلو لهم تساءلت : « ما اسكت اللغبْ ؟
لا بد انه كمين . . . كي نبيد في اللهب
يا كم تُرى يكون ذلك الجيش الذي
قد أوهن العصبْ ؟
لا ريب انه رهيب كاسر لجب »
حثالة الاشرار ساروا في حذرْ
وارسلوا النيران — سترا — للكثيب المنفرد
لكنّ جيشا في الكثيب لم يُجب . . .
الطفل فوق الرمل والحديد منكفىء
على الزناد كفه وفي الثرى
كف سخية الآلاء في الرمال تختبىء
عشرون عاماً ياجوادْ يا طفلي الحبيبْ
نثرتها بين الرمال الشقر ما بين البخور
وجاء غيلان القناة موقدو الحقود
ولملموها . . . ثم ساروا للمدى البعيدْ
الطفل اغفى . . . طفلنا الحبيبْ
الطفل لم يمت . . . في قلبه الوجيب
في قاع قبو مظلم رموه
وفي الحديد الصلد قيّدوه
لم يضمدوا جراحهُ ، لم يرحموه
وعندما تنفست في صدره الحياة
وللضياء فُتحت عيناه
في قسوة لربهم قد جرجروه
عسى بعسفهم وبطشهم يبوح
بسر جيشه المظفر العجيبْ
ذاك الذي أصلاهمو الدمار والنحيبْ
يا ويحهم . .
ويح الوحوش البيض في العصر الجديد !
يا ويحهم . . .
يا ضيعة الانسان يا نقض العهودْ
ابناء « ميرابو » تواصوا بالكنود
الكهرباء تُرعد الجسم العنيد
النار في جراحه . . .
النار والحديدْ
والجوع والحرمان من قطرة ماءْ
ليطفىء الظما في جسمه المكدود ،
لكنه أبى . . .
ان يُسلم السلاح ،
الروح لم تزل عتيّة الكفاح :
فعندما للقبو ارجعوه
في جرحه النزيّ غمّس العلَمْ
وسطر الخلود فوق صفحة الجدارْ
يقص قصة الفداء قصة الألم
نذالة الوحوش روعة الإصرارْ
الجرح جرحي يا جوادْ . . . في جسمي الألمْ
الجرح جرحي ياجوادْ . . . في قلبي النقم
الجرح جرحي ياجوادْ . . . جرح بورسعيد
بل جرح كل من حكى بأنه إنسان
تظلله الحياة في رحابها الفينان
في فجر يوم اسود الألوانْ
سماؤه تلفّها الأكفان
قال الطغاة للبطلْ :
إذهب فأنت حرْ . . .
يا ليته يطيق ان يسير
الجوع والتعذيب لم تترك بجسمه النضير
ثمالةً تحمله لأفقه الأثير . . .
فجاء جلّف من جنودهم غليظْ
وجره للشط في خطو وجيزْ
وفجأة من خلفه رمُوه
بطلقة من غدرهم أصمُوه
وفي رحاب الموج اطلقوه . . . .
يا للوحوش البيض في العصر الجديدْ !
يا ضيعة الانسان يا نقض العهود
خافوا يقص خزيهم على الوجود
لم يعلموا ان الدماء في الجدارْ
تحكي نذالة الوحوش روعة الإصرارْ
رفعت عيني والدموع لم تزل ستارْ
إلى الحروف . . فوق صفحة الجدار
رأيتها تخضر كالربيع . . .
أصبح الوهجْ
عصارة الحياة في الحروف تختلجْ
وأورقتْ . . .
وامتدت الغصون تبتغي الطريقْ
من كوةٍ في القبو للمدى الرحيبْ
تزاحمتْ . . . تزاحمتْ
على الشعاع المنبثقْ
تتوق للضياء للفجر الجديدْ
وامتدت الغصون للسماء كالدعاءْ
تمتص نور الفجر تنهل الضياء
ثم انثنت تحنو على الثرى الرطيبْ
ظلالها ممدودة كرحمة السماء
وفي الغصون الخضر بين رعشة الورق
أزاهر محمرةٌ . . . في النور تأتلقْ
جواد يا طفلي الحبيب لم تزل تعيشْ
تظلل البلاد بالأمان والسلامْ
وتمنح الوجود بهجة الحياه
بعمرك المطلول في الرمال والمياه
وكلما في الليل مرت موجةٌ
توشوش الرمال والرياح والحصى
سمعتُ في انغامها انفاسك اللطاف
تقبّل الشطوط تلثم الثرى
لكم عشقتَها . . أرضها الحنون
فجدت يا جوادُ بالشباب بالدما
وجدت بالأحلام بالأفراح بالمنى .
جوادُ يا طفلي الحبيب لم تزل تعيشْ
في خفقه الأمواج في اختلاجة الشجرْ
في نصرنا في مجدنا النضير
في يومنا العزيز في الغد الكبير

القاهرة — **ملك عبد العزيز**